طبيعة الكنيسة وملامحها وفرائضها

(كيف يدعونا الله إلى الشركة مع المسيح وكيف يحفظنا فيها)

1 - الكنيسة الحقيقية
(وجوب الحفاظ على الوحدة معها باعتبارها الأم لجميع أولاد الله)

(أ) عرفنا أن المسيح يضمن بالإيمان نصيبنا المبارك في الخلاص والفرح الأبدي. لكن لكي نأتي إلى الإيمان الحي نحتاج – بسبب جهلنا وعجزنا – إلى قدر عظيم من المعونة الإلهية التي تهبنا الإيمان وتنميه فينا لذلك فإن الله قد كفل لنا عوناً وتشجيعاً كافياً بأن سلم إنجيل نعمته للكنيسة ، وعين الرعاة والمعلمين لبنيان شعبه (أف 4 : 11) ومنحهم مكانة خاصة ، واهتم بكل ما يلزم لوحدانية الإيمان والتنظيم السليم لكنيسته . وأسس الفرائض التي نعرف بالاختبار الشخصي أنها ذات قيمة عظمى ليس لها مثيل في تقوية إيماننا . لأننا مرتبطون بجسد بشري ، ولم نصل بعد إلى المرتبة الملائكية . إن الله في رحمته جعل لنا – نحن البعيدين عنه – طريقاً يقربنا به إليه .

والكنيسة هي الأسرة الإلهية على الأرض ، هو تعالى يعيلها ويطعمها كما تطعم الأم أطفالها ، وبالتالي يمكن أن تقودهم وتوجههم بأمومتها المعتنية الحانية ، إلى أن يشبوا إلى الرجولة في إيمان ناضج . " فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان " (مرقس 10 : 9) . والذين لهم الله أباً ينبغي أن تكون الكنيسة لهم أماً . كان هذا صحيحاً في حقبة العهد القديم ، وهو صحيح كذلك بعد أن جاء المسيح ، إذ يؤكد لنا الرسول بولس إننا ننتمي لأورشليم الجديدة السماوية (غلاطية 4 : 26).

(ب) إن لقب " أم " يؤكد لنا حاجتنا لأن نعرف شيئاً عن الكنيسة المنظورة . لا يوجد طريق يقودنا للحياة ، سوى أن يحمل بنا في رحمها ونولد ونعطى لبنها . ويجب أن نبقى تحت سلطانها إلى أن نموت فنصبح كملائكة الله (متى 22 : 30). إن ضعفنا كفيل بإبقائنا تلاميذ في هذه المدرسة كل أيام حياتنا .

ولا يكون لنا رجاء في غفران خطايانا وخلاصنا خارج نطاق الكنيسة . هذا الأمر يوضحه بجلاء إشعياء (37 : 32) ويؤئيل (2: 32) ، ويوافق عليه حزقيال ضمناً ، عندما يعلن قائلاً : " في مجلس شعبي لا يكونون ، وفي كتاب بيت إسرائيل لا يكتبون .. " (حز 13 : 9) . إن أسماء أولئك الذين يتبعون طريق القداسة الحقيقية قيل عنهم إن أسماءهم مكتوبة وسط رعايا أورشليم . لذلك يقول صاحب المزمور :
" اذكرني يا رب برضا شعبك ، تعهدني بخلاصك ، لأرى خير مختاريك، لأفرح بفرح أمتك ، لأفتخر مع ميراثك " (مز 106 : 4،5) في هذه العبارات نرى أن المحبة الأبوية لله ، وبرهان الحياة الروحية ينحصران في شعبه الخاص . من هنا يصبح هجران الكنيسة أمراً مميتاً .

(ج) لعل رأينا بشأن الكنيسة المنظورة قد صار واضحاً . ويتحدث الكتاب المقدس عن الكنيسة من زاويتين : فيشير إليها – كما هي بحق أمام الله – الكنيسة التي لا يسمح بالدخول فيها إلا للذين نالوا التبني وصاروا أبناء الله ، وأعضاء حقيقيين في المسيح بتقديس الروح ، وضمن هؤلاء يدخل القديسون الموجودون على الأرض ، وجميع المختارين الذين تواجدوا منذ تأسيس العالم . وكثيراً ما تشير كلمة كنيسة أيضاً إلى جميع الذين يعترفون بعبادة إله ومسيح واحد في كل مكان من العالم . أولئك الذين اعتمدوا في الإيمان ، ويشتركون في عشاء الرب ، ويعترفون بالوحدة في العقيدة والمحبة . ويتفقون تماماً في الإيمان بكلمة الله ، ويطيعون الخدام الذين يقومون بخدمة التبشير بها . في هذه الكنيسة يوجد عدد كبير من المرائين الذين لا يملكون من المسيح شيئاً سوى اسمه . يبدو مظهرهم من الخارج على ما يرام ، لكنهم في الواقع أناس يتصفون بالطموح الخاص والجشع والحسد ، ويتكلمون بالشر . بل إن البعض منهم يحيون حياة أسوأ من ذلك . إلا أنهم جميعاً يواجهون بالتسامح إلى حين ، إما لأنه من الصعب الإمساك بدليل اتهام ضدهم ، أو بسبب عدم وجود نظام تأديب قوي.

(د) لقد ميز الله الكنيسة بعلامات أو رموز خاصة لأن من المهم لنا أن نتعرف على هذه الكنيسة . لاشك أنه امتياز خاص بالله أن يعرف الذين هم له ، كما يقول بولس (2تي 2 : 19) . وهذا يكبح جماح الثقة الزائدة عن الحد ، مادمنا ندرك بوضوح إلى أي مدى تعلو أحكامه عن افهامنا . حتى إن وجود الرب يمكن أن يتسع لأشر الناس الذين لا أمل لنا فيهم فيستعيدهم إلى الحياة . وذلك في نفس الوقت الذي يمكن أن يسقط أشخاص حسب الظاهر ثابتون . يقول أوغسطينوس (اللاهوتي العظيم) : " فيما يتعلق بالتعيين السري السابق لله ، يوجد الكثير من الغنم في الخارج ، والكثير من الذئاب في الداخل " . يعلم الله ، وله

ختمه سواء على الذين يعرفون أنفسهم أو الذين لا يعرفون . فعيناه وحده هي التي يمكنها أن تميز بين الذين يلبسون شارته ، الأشخاص المقدسين حقيقة ، الذين سيستمرون إلى النهاية في مثابرة لابد منها لكي يكتمل خلاصهم . بيد أن الله يدرك مع ذلك ، أننا في حاجة إلى أن نعرف ، إلى حد ما ، الأشخاص الذين يعتبرهم أبناء له ، وبالتالي يتيح لنا ذلك بدرجة ما ، وحيث إن التأكد المطلق – في ذلك – ليس أمراً أساسياً ، فقد وضع الله مكانه تقديراً رقيقاً أو تخميناً محبباً ، به نقبل كل شخص كعضو من أعضاء الكنيسة ، الذين بالإقرار بالإيمان واستقامة السلوك والاشتراك في الفرائض ، يتحدون معنا في نفس الاعتراف بالله وبالمسيح . وحيث إن معرفة جسده – الكنيسة – أمر ضروري جداً لخلاصنا ، فقد أوضح الله ذلك بعلامات محددة جداً .

(هـ) لذلك فالكنيسة المنظورة موجودة في جميع أنحاء العالم لكي ترى فحيثما يبشر بكلمة الله الحية ويصغي إليها بإخلاص ، وحيثما تمارس الفرائض بحسب مبادئ المسيح ، يمكننا أن نتيقن أن كنيسة الله موجودة ، لأنه وعد قائلاً : " حيثما إجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم " (متى 18 : 20) . خلاصة القول: إن الكنيسة الجامعة تتكون من جماهير من الناس من كل الأمم ، يتفقون في الحق المختص بالتعليم الإلهي ، ويتحدون في إيمان مشترك . وهي تتضمن كنائس فردية وأشخاص منفردين بقدر ما تتضمن الجسد العام ، مادامت الكلمة المقدسة والفرائض تلقى قبولاً وطاعة .

(د) لا يمكن أن يكون هناك تبشير بكلمة الله وطاعة للفرائض في أي مكان دون أن يكون لهما ثمر ونجاح بفضل البركة الإلهية . لا نقول أنه من المحتم أن نرى نتائج مباشرة أينما يبشر بالكلمة ، بل نقول : حيثما تجد الكلمة الإلهية قبولاً فهناك دائماً البركة . عندما يستمع إلى بشارة الإنجيل بوقار ، والفرائض تطاع ، فمن الممكن رؤية الكنيسة على حقيقتها بوضوح . ولا أحد يمكنه – دون عقاب – أن يرفض سلطان الكنيسة أو يتجاهل توبيخها أو يزدري بحكمها دون أن يكون بذلك كمن يتمرد عليها علناً ويدمر وحدتها .

يعطي الرب هذا القدر الكبير من الأهمية لشركة كنيسته ، حتى إن جميع الذين يقطعون أنفسهم – برؤية وتعمد – عن أي جماعة مسيحية تؤمن بالإنجيل وتؤيد بإخلاص خدمة الكلمة الإلهية والفرائض المقدسة ، فإن الله ينظر إليهم على أنهم منشقون . يستودع الله كنيسته سلطاناً عظيماً ويهتم بها جداً حتى إنه إذا لحقتها إهانة ما ، فإنه يعتبر ذلك إهانة لسلطانه الخاص " بيت الله " و " عمود

الحق وقاعدته " (1تي 3 : 15) . يرينا في هذه الكلمات أن الكنيسة هي حارسة الحق حتى لا يبطله العالم . وقد اختار الله أن يستخدم الكنيسة لكي تبشر بكلمته المقدسة في كل نقائها وصفائها . وبهذا يعلن نفسه لنا كأب يطعمنا بالغذاء الروحي وبكل ما نحتاج إليه من أجل الخلاص . يا له من امتياز هائل للكنيسة أن يختارها المسيح ويفرزها كعروس له ، بلا دنس ولا غضن أو أي عيب آخر (أف 5 : 27) . ومن هنا فإن التمرد على الكنيسة يعد رفضاً لله والمسيح . ولا غرو فالتمرد هنا مساو لمحاولة تدمير حق الله ، مما يتعين علينا أن نشعر إزاءه بملء قوة غضب الله . ليس هناك جريمة أسوأ من التجديف على الله ، ومن العار أن نفصم رباط الزوجية المقدس ، الذي تنازل ابن الله الوحيد ليعقده معنا .

(ز) علينا أن نتعرف على السمات التي تميز كنيسة الله ، وأن نراها من خلال عينيه هو . فليس أحب إلى قلب إبليس من أن يتخلص من هذه السمات بالتشويش حولها والعمل على ازدرائها بإقناع الناس بعدم احترامها بل وتحريضهم على التمرد العلني على الكنيسة . يحاول الشيطان بحيله وألاعيبه أن يوهم الناس بأن التبشير بكلمة الرب قد اختفى منذ قرون . وهو يعمل الآن ، في سبيل تحقيق هذا الغرض الشرير على تمزيق الخدمة والإطاحة بها . لقد شيد الله كنيسته بحيث لو أمكن إزالة هذه الخدمة لانهار البناء كله . نرجو أن يكون قد أصبح واضحاً الآن أن محاولة إغرائنا بفصل أنفسنا عن الشركة التي تؤكد على السمات المميزة التي اختارها الرب لكنيسته ، أمر خطير مدمر وقاتل ، مما يجعلنا نحتاج إلى فطنة حقيقية وبصيرة ثاقبة . لا يجب أن يخدعنا الاسم " كنيسة " ، إذ ينبغي أن توضع تحت الفحص كل جماعة تدعى هذا الاسم . فإن كانت تحافظ على ممارسة المبادئ التي أسسها الرب في الكلمة والفرائض المقدسة ، فلا مجال للخديعة والاحتيال وبالتالي يمكننا أن نحترمها في طمأنينة وأمان . أما إذا لم تتوافر هذه العلامات المميزة ، فينبغي أن نتجنب هذا الزيف والاحتيال .

(ح) عندما نقول إن نقاوة خدمة كلمة الله ، والممارسة النقية للفرائض تعد علامات كافية للتعرف على الكنيسة ، فإننا نعني بذلك أنه لا يجوز أن نشطب على كنيسة ما ، طالما وجدت هذه العلامات ، حتى ولو كان يشوبها بعض الأخطاء الأخرى . وربما وصل الأمر إلى أن يكون هنالك بعض مواطن القصور والضعف في توجه وإدارة الكلمة والفرائض المقدسة ، إلا أن هذا يجب ألا يفصلنا عن شركة الكنيسة.

ليست جميع المسائل العقيدية على درجة واحدة من الأهمية ، فبعضها أساسي وجوهري للإيمان ، مثل : أن الله واحد ، وأن المسيح هو الله وابن الله ، وأن خلاصنا يستند على نعمة الله .. وهكذا . وهناك مسائل أخرى يمكن أن تكون محل نقاش أو جدل لكنها لا تحطم وحدة الإيمان . من أمثلة ذلك : أهو أمر خطير أن يعتقد إنسان ما بأن النفس عندما تترك الجسد تطير إلى السماء ، بينما يقول آخر : إن كل ما يعرفه على وجه اليقين أنها تكون مع الرب ؟!

يقول الرسول : " فليفتكر هذا جميع الكاملين (الناضجين) منا ، وإن افتكرتم شيئاً بخلافه ، فالله سيعلن لكم هذا أيضاً " (في 3 : 15) . والتطبيق هو إن تلك المسائل غير الجوهرية لا ينبغي أن تكون أساساً للحوار بين المسيحيين . ليس من شك في أن الأفضل أن يكون لنا الاتفاق التام ، لكن حيث إن المعرفة الكاملة غير متاحة أو ميسرة لكل إنسان ، فإننا نكون أمام خيارين : إما أن لا يكون لنا كنيسة على الإطلاق ، وإما أن نعفو عن الخطأ في الأمور التي لا تقوض أساس الخلاص .

نحن لا نتغاضى عن الخطأ مهما كان تافهاً ولا نشجعه ، لكننا نحاول أن نقول : إنه لا ينبغي بسبب غلطة صغرى أن نترك الكنيسة ، شريطة أن يكون لها العقيدة الصحيحة في الأمور الأساسية ، وفي ممارسة الفرائض التي وضعها الرب. إذن فمن واجبنا أن نحاول أن نغير ما هو خطأ . وعن هذا يتحدث بولس فيقول : " ولكن إن أعلن لآخر جالس فليسكت الأول " (1كو 14 : 3) . فكل عضو من أعضاء الكنيسة عليه أن يبذل أقصى ما في وسعه لمصلحة الأغلبية ، فلا يهجر الكنيسة ، ولا يمكث فيها بلا هدف سوى أن يعكر صفوها ويفسد سلامها.

(ط) علينا أن نكون أكثر تسامحاً فيما يتعلق بأخطاء السلوك . فكل منا هنا معرض للسقوط في أحد فخاخ العدو . من السهل جداً أن نعطي انطباعاً مزيفاً عن قداسة سامية ، كما لو كنا في ذلك الحين ملائكة ، ونتجاهل كل الرفقاء الذين تبدو بشريتهم في تقصيرا تهم .

وهنالك آخرون قد يخطئون بسبب الغيرة الحمقاء أكثر منه بسبب الكبرياء . فعندما يرون أن الناس بعد سماعهم بشارة الإنجيل لا تتشكل حياتهم بحسب معتقداتهم ، فإنهم يصلون إلى نتيجة مفادها أنه لا وجود للكنيسة على الإطلاق .

نحن لا نبرر – بالطبع – الحياة المسيحية السطحية ، قليلة العمق ، التي هي شائعة جداً ، والرب قادر أن يصححها لاسيما عندما تسبب الإساءة إلى ذوي الضمائر الضعيفة . لكنها خطية أيضاً أن يكون الإنسان غير محب وقاسياً بغير ضرورة . إن الذين يميلون إلى القسوة بغير محبة ، يتخيلون أنه لا وجود لكنيسة معينة ما لم يكن هناك طهارة وقداسة كاملة وأمانة تامة في السلوك . وحيث أنهم يكرهون الشر ، تراهم ينسحبون من كنيسة حقيقية صادقة ، متصورين أنهم يتجنبون شركة غير المؤمنين ، مؤكدين بإصرار على ضرورة أن تكون كنيسة الله مقدسة . بيد أن مثل هؤلاء يحتاجون إلى أن يدركوا أن الكنيسة تضم أخلاطاً من الأخيار والأشرار . وعليهم أن يستمعوا جيداً إلى المثل الذي ضربه مخلصنا وفيه يشبه " الكنيسة " بشبكة مطروحة في البحر وجامعة من كل أنواع السمك ، ولا يتم الفصل بين الأنواع الجيدة والأنواع الرديئة إلا بعد أن تحضر الشبكة إلى الشاطئ (متى 13 : 47 – 50) . كما تشبه الكنيسة أيضاً بحقل زرع بالبذار الجيدة ، جاء إليه عدو وزرع زواناً ، ولا يتم الفصل بين الزوان والحنطة إلا عند الحصاد (متى13 : 24 – 30) . وياليتهم أيضاً ينظرون إليها على أنها " بيدر " تختبئ فيه الحنطة بين التبن ، إلى أن يتم فصلهما بالمذراة والغربال وتنقية البيدر وجمع القمح إلى المخزن (متى 3 : 12) . فإن كان الرب نفسه يعلم بأن الكنيسة ستعاني من ثقل خطاة بلا عدد إلى يوم الدينونة ، فإنه من العبث التطلع إلى كنيسة خالية تماماً من الأخطاء .

(ي) لكن بعضاً من الصادقين المخلصين ، كثيراً ما يخدعون ويتأثرون بتلك الغيرة المفرطة من أجل البر ، رغم أنها كثيراً ما تكون ناتجة عن الكبرياء أو عن فكرة غير سليمة عن القداسة . إن الذين يتزعمون التحريض على هجر الكنيسة لا يشغلهم سوى استعراض تفوقهم الخاص ، عن طريق احتقار الآخرين . وفي هذا يقول اللاهوتي العظيم أوغسطينوس :
" رأينا أن دواعي التقوى وأسلوب التأديب الكنسي ، لابد أن يدخلا في اعتبار حفظ وحدانية الروح برباط السلام ، إذ يأمرنا الرسول بأن نصون هذه الوحدة باحتمال بعضنا بعضاً . أما أولئك الأردياء الذين يتصرفون من منطق غيرتهم على صراعاتهم ومنافساتهم الخاصة ، وليس بسبب عدم رضاهم عن شرور الآخرين ، فإنهم يبذلون جهدهم في جذب أو تفريق الأخوة الضعفاء المأخوذين ببريق اسمهم ، بينما هم منتفخون بالكبرياء، مهيجون للفتن ، متسربلون بعباءة التجهم والصرامة حتى لا ينكشف تجردهم من نور الحق " .

ينصح أوغسطينوس الإنسان الفاضل الصادق الولاء بأن يصحح ما يقدر عليه بلطف ، وأن يتحمل ما لا يمكن تغييره بصبر . وقد يترتب على هذا نوع من الألم ، لكن علينا أن نعرف أن الله قادر أن يغير الأوضاع في هذه الحياة أو يقتلع الحشائش الغريبة ويذري العصافة عند الحصاد النهائي . قد يعتبر الإنسان نفسه بطلاً غيوراً على البر ، ومع ذلك يتمرد على ملكوت السموات ، المملكة الوحيدة للبر . لقد رتب الله أن يكون الحفاظ على شركة كنيسته في المجتمع الإنساني أمراً ضرورياً ، وإن أي شخص يحاول كسر ربطها بحجة كراهيته للأشرار ، إنما يدفع بنفسه إلى منزلق وعر ، يكمن فيه الخطر الجسيم في أن يقطع نفسه من شركة القديسين . ولابد لنا جميعاً أن ندرك أنه في جماعة كبيرة ، قد يوجد الكثيرون ممن لا يلفتون النظر ، الذين هم في عيني الرب أبرار بحق ومغفورو الأثم . بل إنه بين الذين يبدون بعيدين عن الطهارة والنقاوة ، قد يوجد كثيرون غير راضين عن أنفسهم ، وقد يتغيرون ، بواسطة الرب – إن عاجلاً أو آجلاً – إلى أمانة أعظم . من ثم فليس من حقنا أن نصدر حكماً بالإدانة على أي إنسان من أجل عمل واحد ، فأقدس إنسان معرض للسقوط فيما هو أسوأ . دعونا نذكر أيضاً أنه في خدمة الكلمة وشركة الفرائض المقدسة ، نرى القوة التي تجمع الكنيسة أعظم بكثير من إمكان قلة من الأشرار على ابطال تأثيرها . أخيرا فنحن نعلم أنه في مجال الحكم على الكنيسة ، يكون رأي الله أكثر أهمية من رأي الإنسان بما لا يقاس .

(ن) ولما كانت الكنيسة تدعى مقدسة بحق ، فمن الضروري إذن أن نحلل هذه القداسة . بعبارة أخرى ، لو رفضنا أن نعترف بعدم وجود كنيسة كاملة تماماً فلن يكون لدينا كنيسة على الإطلاق . يقول بولس بحق : إن المسيح " أحب الكنيسة وبذل نفسه لأجلها ، لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة ، لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك ، بل تكون مقدسة وبلا عيب " . (أف 5 : 25 – 27) . لكنه أمر حقيقي أيضاً أن الرب يعمل يومياً على صقل هذه التجاعيد وإزالة البقع وتنقية الشوائب . من هنا نرى أن قداسة الكنيسة ليست بعد كاملة . إنها تتقدم باستمرار لكن لم تصل بعد إلى غايتها. لذلك فإن الأنبياء عندما يتطلعون إلى الأمام قائلين : " تكون أورشليم مقدسة لا يجتاز فيها الأعاجم فيما بعد " . (يوئيل 3 : 17) وسوف " يقال لها الطريق المقدسة ، لا يعبر فيها نجس " (اش 35 : 8) فهم لا يقصدون بذلك أنه لن تكون هناك أخطاء في أعضاء الكنيسة ، لكن المعنى المقصود هو أن هؤلاء الأعضاء سوف يسعون بصدق وإخلاص نحو القداسة والنقاوة الكاملة . أي أن الرب في جوده يحسب لهم ما لم ينالوه بعد .

أيضاً نقول إنه رغم أن القداسة الحقيقية نادرة تماماً ، فإن علينا أن ندرك أن الرب لم يكن يوماً بدون كنيسته ، ولن يكون بدونها يوماً إلى نهاية الدهر . وعلى الرغم من أن كل الجنس البشري قد فسد بخطية آدم ، إلا أن الرب قد كرس وقدس البعض دائماً ، كأواني للكرامة ، لكي لا يكون هناك جيل بدون اختبار لرحمة الرب الذي أعطى وعوداً واضحة في هذا الصدد ، مثل :

- " قطعت عهداً مع مختاري . حلفت لداود عبدي . إلى الدهر أثبت نسلك ، وأبني إلى دور فدور كرسيك " (مز 89 : 3،4) .

- " لأن الرب قد اختار صهيون ، اشتهاها مسكناً له . هذه هي راحتي إلى الأبد ، ههنا أسكن لأني اشتهيتها " (مز 132 : 13،14) .

- " هكذا قال الرب الجاعل الشمس للإضاءة نهاراً ، وفرائض القمر والنجوم للإضاءة ليلاً ، الزاجر البحر حين تعج أمواجه ، رب الجنود اسمه . إن كانت هذه الفرائض تزول من أمامي يقول الرب ، فإن نسل إسرائيل يكف من أن يكون أمة أمامي كل الأيام " (ارميا 31 : 35،36) .

(ل) إن غفران الخطايا هو القاعدة التي نستند عليها في بداية دخولنا إلى الكنيسة كما إنه أيضا القاعدة التي على أساسها يحفظنا الرب فيها . لن يكون هناك فاعلية عظمى في قبول غفران ليس له قيمة بعد ذلك ، وبالمثل تكون رحمة الله زائفة وبلا جدوى لو أنها كانت تقدم مرة واحدة فقط . إن كل مؤمن يمكنه أن يكون على وعى مدى حياته بكثير من الضعفات التي متاح إلى رحمة الرب . ونحن ما كنا لنقدر أن نبقى في الكنيسة لحظة واحدة إن لم نكن مؤيدين بنعمة الله الدائمة الغفران لقد دعا الله شعبه إلى خلاص أبدي ، لذلك فنحن في حاجة أن نتذكر أن العفو عن الخطايا أمر يحتاج دائماً ، إن كنا ننتمي إلى جسد الكنيسة فإن خطايانا قد غفرت ، وتغفر يومياً من خلال جود الرب بتقديس الروح القدس في استحقاقات المسيح .

2 – مقارنة بين الكنيسة الحقيقية والكنيسة المزيفة

1 – حاولنا أن نوضح مدى أهمية خدمة الكلمة والفرائض المقدسة لنا . انهما أشبه بعلامة مميزة أو شارة مثبتة دائماً تتميز بها الكنيسة . وحيثما وجد هذان الأمران فلن تعوقنا أخطاء أو نقصات عن التسليم بصحة الكنيسة . إن النقصات الصغرى لا تبطل الكنيسة ، لكن عندما يشق الخطأ طريقه إلى قلعة المسيحية الحقيقية فيحطم العقائد الأساسية ، عندما يساء استخدام الفرائض المقدسة ، فإن الكنيسة تموت لا محالة ، كإنسان يسقط صريعاً إذا قطع عنقه . يوضح بولس ذلك عندما يقول : " مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ، يسوع المسيح نفسه حجر الزاوية " (بدون الواو حسب الأصل اليوناني) (أف 2 : 20) . وحيث إن الكنيسة مبنية على تعليم الرسل والأنبياء الذين أرشدوا المؤمنين بأن يطلبوا الخلاص في المسيح وحده ، لذلك فإنه إذا تحطم هذا التعليم لا يمكن أن تظل الكنيسة قائمة . فالكنيسة تسقط لا محالة عندما تنهار أية عقيدة أساسية . ومادامت الكنيسة هي " عمود الحق وقاعدته" (1تي 3 : 15) فلا وجود لكنيسة يسود فيها الكذب والضلال .

2 – ولما كان الكذب والضلال قد سادا في ظل النظام الكنسي السائد (في أيام كلفن) ، فعلينا أن نفهم تأثير ذلك على الكنيسة هناك . فبدلاً من خدمة الكلمة ، وجدت إدارة فاسدة مكونة من أكاذيب تحجب جزئياً نور الله الصافي . وبدلاً من عشاء الرب حدث تدنيس شنيع للمقدسات ، كما شوهت عبادة الله بكم هائل من الخرافات التي لا تحتمل . والعقيدة التي بدونها لا يمكن أن يكون للمسيحية وجود قد أهيل عليها التراب وازدرى بها ، وصارت الخدمات العامة منبتاً للتجديف ، ومرتعاً للوثنية . وغنى عن البيان اننا عندما نرفض المشاركة في هذه الأمور الخاطئة لا يكون هناك أية مخاطرة بأن نقطع من كنيسة المسيح . إن عضوية الكنيسة لم يقصد بها أن تكون قيداً يشدنا في وثنية وتدنيس للمقدسات وجهل بالله وما إلى ذلك من شرور . بل بالأحرى يليق بعضوية الكنيسة أن تحفظنا في مخافة الله وطاعة الحق .

يفاخر قادة الكنيسة المسيطرة بصوت عال بكنيستهم ، كما لو أنه لا وجود لكنيسة أخرى ، ويعلنون بوضوح أن جميع الذين يتركون هذه الكنيسة هم منشقون ، وأن جميع الذين يتذمرون على عقيدتها هم هراطقة . يحاولون إثبات انفرادهم بالكنيسة الحقيقية ، باللجوء إلى رواية ما حدث مرة في إيطاليا وفرنسا وأسبانيا . ويدعون أن أصلهم يرجع إلى أولئك الرجال المقدسين الذين أقاموا الكنائس بالعقيدة السليمة وعملوا على تثبيت وترسيخ التعليم الحقيقي ، الذين بنوا الكنيسة بدمائهم . كما يدعون أيضاً أن الكنيسة التي كرست على هذا النحو ، بالمواهب الروحية وبدم الشهداء ، قد حفظت من الدمار بسلسلة متعاقبة من الخلافة المستمرة للأساقفة . ودليلهم الأساسي في ذلك ما نسبه كل من ايريناوس وترتليان وأوريجانوس من أهمية لهذا التسلسل . ينبغي علينا أن نشير إلى بطلان هذه الادعاءات لكي لا يقع في شركها الناس الأخيار محبو الحق . لذلك نتساءل : لماذا لم يشيروا إلى أفريقيا ومصر وآسيا برمتها ؟ الجواب بوضوح هو أنه في هذه الأقاليم قد كسر التعاقب المقدس الذي به يفاخرون بأن كنيستهم هي الكنيسة الوحيدة الحقيقية ، لأن الكنيسة منذ بدأت لم تكن بدون أساقفة ، لقد تتابعوا الواحد بعد الآخر في سلسلة متصلة . لكن ماذا لو ذكرنا بلاد اليونان ؟ لماذا يقولون إن الكنيسة ماتت بين اليونانيين رغم أنه كان بها تعاقب غير منقطع للأساقفة إنهم يطلقون على اليونانيين اسم " المنشقين " الذين فقدوا امتيازهم عندما تحولوا عن كنيسة روما ، المقر الرسولي . أفلا يستحق الذين يتحولون عن المسيح أن يفقدوا بالأحرى امتيازهم ؟

إن ادعاء الخلافة يكون بلا قيمة إذا لم تحفظ الأجيال المتعاقبة حق المسيح (الذي سلم إليهم من آبائهم) ، إن من أوجب الواجبات أن يحفظ هذا الحق سالماً وكاملاً وأن يصان من الأذى ، بالاستمرار في الحياة بموجب هذا الحق .

3 – معلمو الكنيسة وخدامها
(اختيارهم وخدمتهم)

(أ) نحن الآن بصدد الحديث عن نموذج الرب لإدارة شئون الكنيسة :

ينبغي أن تكون السيادة في الكنيسة للرب وحده ، هذا حق واضح ، وعلينا أن نكون على يقين من أن الرب يفعل هذا . يجب أن يدار نظام الكنيسة عن طريق كلمة الرب المباركة وحدها . لكن حيث أن الرب لم يعد يعيش بيننا بالجسد لكي يجعل إرادته واضحة بما يمكن أن يخرج من شفتيه مباشرة ، لذلك فهو يستخدم لخدمة الكلمة بشراً ، ويجعلهم ينوبون عنه . إنه لا يحول إليهم حقوقه ومقامه السامي الرفيع ، لكنه يعمل من خلالهم ، تماماً كما يقوم أحد العمل باستخدام أداة لإتمام غرضه .

سبق أن قلنا إن الله كان يمكنه أن يعمل دون أية مساعدة بشرية ، وكان يمكنه أن يعمل من خلال ملائكة . بيد أنه توجد أسباب عديدة جعلت الرب يختار أن يستخدم أناساً . ذلك أنه بهذه الطريقة يظهر لنا أولاً تنازله وتعطفه علينا باستخدامنا كسفراء له نوضح إرادته للعالم ، ونمثله . ولهذا السبب ندعى " هيكله " إذ يكلم الناس من خلال شفاهنا كما من " مقدس " . وبهذه الطريقة يقدم لنا ثانياً تجريباً ذا قيمة كبيرة في التواضع ، لأنه ينتظر من الناس أن يطيعوا كلمته التي يبشر بها أناس نظيرهم (في بعض الحالات لا يكونون في مثل صلاحهم) . لو أن الله تكلم بنفسه من السماء مباشرة فلن يكون من الغريب أن تقبل كلمته المهيبة بوقار فوراً ؛ إذ من لا يخشى قوته العظيمة ؟ ومن ذا الذي لا ينحني في محضر جلاله ولا يسبى ببهاء مجده ؟ لكن عندما يتحدث إنسان عادي باسم الرب من السماء ، فإن الناس بإصغائهم بهدوء إلى خادمه الذي هو إنسان ليس أفضل منهم ، يبرهنون على إخلاصهم وولائهم

وطاعتهم للرب . إن الله يخبئ كنز حكمته السماوية في أوان خزفية لكي يختبرنا . كما أنه لصنع المحبة المتبادلة بين الناس ليس أفضل من أن يربط بينهم بتعيين واحد منهم راعياً يعلم الباقين الذين دعوا للتلمذة . أما إذا كنا في حالة غرور واكتفاء ذاتي ، بحسب طبيعة الكبرياء البشرية، فإن ذلك سوف يؤدي إلى احتقار الآخرين ، وهم سوف يزدرون بنا .

لذلك فإن الرب ربط كنيسته بما يعلم أنه أقوى رباط للوحدة ، فعهد إلى الناس بأن يوصلوا إلى إخوتهم من البشر التعليم المختص بالحياة الأبدية والخلاص. وإلى هذا يشير بولس عندما يكتب إلى أهل أفسس بأنه يوجد : " جسد واحد وروح واحد ، كما دعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد – رب واحد ، إيمان واحد ، معمودية واحدة ، إله وآب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم . ولكن لكل واحد منا أعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح ، لذلك يقول : " إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا . وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى ، الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل . وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين . إلى أن ننتهي جميعاً إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله ، إلى إنسان كامل ، إلى قياس قامة ملء المسيح . كي لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس بمكر على مكيدة الضلال . بل صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح . الذي فيه كل الجسد مركباً معاً ، ومقترناً بمؤازرة كل مفصل ، حسب عمل ، على قياس كل جزء ، يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة " (أف 4 : 4– 16) .

(ب) في هذه الكلمات الموجهة إلى أفسس يتحدث بولس عن خدمة البشر الذين يستخدمهم الله في تنظيم الكنيسة ، على أنها رباط حيوي به يوحد المؤمنين في جسد واحد . ويرى أن الكنيسة لا يمكن أن تصان بدون الحراس الذين عينهم ؛ فقد صعد المسيح فوق جميع السموات لكي يملأ الكل (أف 4 : 10) ووسيلته لذلك هي أنه وزع عطايا على الكنيسة من خلال خدامه ، وبهذا أظهر أنه موجود هناك بعمل قوة روحه القدوس ، يحول دون أن تصبح الكنيسة بلا هدف أو ثمر . بهذه الطريقة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس ونتحد مع بعضنا البعض . وبهذه الطريقة نحضر إلى وحدة المسيح . وطالما كانت النبوة ناجحة ومزدهرة فإننا نرحب بخدام الرب ولا نحتقر تعليمه . كل من يحاول أن يتملص من هذا النموذج الخاص بالنظام الكنسي أو ينظر إليه نظرة ازدراء معتبراً إياه قليل الأهمية ، فإنما يكون

كمن يتآمر لتخريب الكنيسة . إن الطاقة الشمسية والقوت الضروري ليسا على درجة من الأهمية تماثل الأهمية التي للدور الرسولي والرعوي في حفظ الكنيسة على الأرض .

(ج) لقد وضع الله تصديقه الدائم الثابت على الخدمة الكنسية بمنح ألقاب تجعلنا ننظر إلى الخدمة بتقدير واعتبار كواحدة من البركات العظمى . إنه يعلن بوضوح أن إقامة " معلمين " تعتبر امتيازاً خاصاً للناس ، لنتأمل في قول الرب على لسان النبي عندما يهتف قائلاً : " ما أجمل على الجبال قدمي المبشر بالسلام ..!" (اش 52 : 7) وفي قول المسيح للرسل : " أنتم نور العالم .. أنتم ملح الأرض " (متى 5 : 13،14) ، بل إن مدحه للخدمة بلغ شأناً كبيراً في الرفعة والسمو عندما قال : " الذي يسمع منكم يسمع مني ، والذي يرذلكم ، يرذلني والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني " (لوقا 10 : 16) .

ولعل أكثر العبارات مدعاة للانتباه والتأمل هي التي ترد في الرسالة الثانية إلى كورنثوس ، وفيها يؤكد على أن خدمة الإنجيل هي أسمى وأمجد مجالات الخدمة في الكنيسة ، باعتبارها خدمة دائمة وباقية ، خدمة الروح ، روح البر (2كو4 : 6 ؛ 3 : 9) .

هذه الشواهد وغيرها ينبغي أن تجعلنا نقدر الخدمة حق قدرها ولا نسمح بأن يشوبها أي قصور أو إهمال . مرة أخرى نقول : توجد أمثلة كتابية كثيرة عن الضرورة الملحة للخدمة ، فعندما اختار الله أن يعلن نور حقه لكرنيليوس ، أرسل إليه ملاكاً من السماء يطلب منه أن يستدعي بطرس (أع 10 : 3) . وعندما سر الله أن يعلن عن نفسه لبولس ويطعمه في الكنيسة أرسله إلى رجل يعلمه عن الخلاص والمعمودية (أع 9 : 6 – 20) .. وليس من قبيل المصادفة أن يعهد الله بهذه المهام الخطيرة إلى أناس من البشر . من ثم ينبغي علينا ألا نحتقر الخدمة التي أعطاها الله مثل هذا الاعتبار الأسمى .

4 – التأديب الكنسي
واستخدامه أساساً في التحذير والحرمان

(أ) والآن علينا أن نلقي نظرة سريعة على التأديب الكنسي . إنه يعتمد إلى حد كبير على قوة الأدلة ، وعلى السلطة الروحية . ولكي نزيد الأمر إيضاحا نقسم الكنيسة إلى مجموعتين رئيسيتين : رجال الدين والشعب . ولفظ رجال الدين هنا مستخدم بطريقة عادية للتعبير عن الخدام الذين يقومون بخدمة عامة في الكنيسة .

وسنعالج أولاً التأديب العام الذي يجب أن يخضع له كل واحد ، ثم نتجه بعد ذلك إلى ما يتعلق برجال الدين ، الذين يجب أن يكونوا أيضاً تحت تأديب خاص .

يبغض بعض الناس " التأديب " كثيراً ، إلى حد اعتراضهم على الاسم نفسه . بيد أننا يجب أن نذكرهم أنه لا يمكن لأي مجتمع أو عائلة أن تحكم بدون تأديب . وفي الكنيسة يكون التأديب أكثر ضرورة وأشد إلحاحاً لأنه يتعين عليها أن تسير بأفضل طريقة ممكنة . وكما أن التعليم المختص بفداء المسيح هو حياة الكنيسة ، فكذلك يعد التأديب بمثابة الأوتار التي تشد الأجزاء معاً في الوضع الصحيح . وكل من يحاول التملص من التأديب أو يرغب في عدم الالتزام به فإنما يعمل في الواقع على انهيار الكنيسة . لأنه ماذا يمكن أن يحدث لو سمح لكل واحد بفعل ما يريد وبالطريقة التي تحلو له ؟ لابد ، إذن ، إلى جانب التبشير بالإنجيل من وجود تأديب خاص ، وتصحيح لحفظ التعليم من أن يكون عقيماً وغير فعال . إن التأديب ضابط أو شكيمة تكبح جماح أولئك الذين يهاجمون تعليم المسيح . وهو أيضاً منبه أو مثير يعترض طريق غير الملتزمين ويوقفهم عند حدهم . لكنه يكون في بعض الأحيان عصاً أبوية حانية يعاقب بها المؤمن المخطئ عقاباً رقيقاً .

في إمكاننا في الوقت الحاضر ، أن نرى في الكنيسة علامات التشويش ، الناجمة عن الافتقار إلى نظام للسيطرة على الأعضاء ، من ثم فإن الضرورة وحدها تقتضي حلاً . والحل الوحيد هو ما عينه الرب يسوع وقبله الأتقياء دائماً .

(ب) التوبيخ الخاص هو العنصر الأساسي الأول للتأديب : لو أن أي إنسان لا يؤدي واجبه طواعية ، أو لو أنه يسلك بوقاحة ، أو يحيا حياة غير أمينة ، أو يرتكب ما إلى ذلك من الأخطاء ، فإن الضرورة تقتضي توبيخه . وعلينا أن نكون مستعدين لتوبيخ أي أخ في حالة الضرورة . يجب على الرعاة أن يكونوا يقظين ، شديدي الانتباه ، لا يكتفون بالوعظ بل يحذرون الناس في منازلهم إذا تطلب الأمر ذلك . يقول بولس : إنه علم " جهراً وفي كل بيت " محذراً ومنذراً : " إني برئ من دم الجميع " حيث أنه قد أعلن " كل مشورة الله " (أع 20 : 20 ، 26 ، 27). يتطلب التعليم قوة وسلطاناً عندما يكون على الخادم أن يعلن جهاراً ومواجهة ما علينا من دين للمسيح . بل إن الخادم من واجبه ، ومن حقه أيضاً أن يطلب منا الطاعة . فإذا رفض أحدهم التحذير – بروية وتعمد – مصراً على الخطية ، فإن المسيح يأمرنا بأنه بعد أن يتم توبيخه ثانية أمام شهود ، يستدعى لمحاكمة كنيسة . إن هيئة الشيوخ يجب أن ترده إلى جادة الصواب بأكثر قوة ، بسلطة عامة ، إذ لو أنه يحترم الكنيسة حقيقة فسيخضع ويطيع (متى 18 : 15 ، 17) . أما إذا لم يتضع بعد ذلك وأصر على طرقه الشريرة ، محتقراً الكنيسة ، فإن الأمر يقتضي عندئذ استبعاده من شركة المؤمنين .

(ج) لم يتحدث مخلصنا عن الأخطاء السرية فقط . فيجب أن نلاحظ التمييز بين الخطية الخاصة والخطية العامة . ففيما يتعلق بالخطية الخاصة يقول المسيح : " اذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما " (متى 18 : 15) . أما بالنسبة للخطية العامة، فيقول بولس لتلميذه تيموثاوس : " الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع لكي يكون عند الباقين خوف " (1تي 5 : 20) ، يستخدم يسوع هذه العبارة " إن أخطأ إليك أخوك " (متى 18 : 15) مما يقتضي أن الخطأ أمر خاص لا يعرفه سوى أنت . لقد نفذ بولس ما أوصى به بشأن الخطأ العام ؛ إن الذين يخطئون علانية يجب أن يوبخوا علانية ؛ فوجه اللوم إلى بطرس أمام الجميع (غل 2 : 14) . من هنا فإن السبيل القويم يجب أن يكون دائماً هو : تصحيح الخطايا السرية سراً ، والتعامل مع الخطايا العلنية التي تؤدي إلى خلق فضيحة عامة ، عن طريق الكنيسة .

(د) وهنالك تمييز آخر يجب التنبه إليه . توجد خطايا هي مجرد زلات أو هفوات، بينما توجد أخرى عبارة عن جرائم متعمدة . ولكي تصحح هذه الأخيرة يجب ألا يقف الأمر عند حد التوبيخ فقط بل يمتد إلى العقاب الحاد الأشد . يشرح الرسول بولس هذا عندما يوبخ ذلك الكورنثي المتهم بالزنى مع امرأة أبيه ، ثم يعاقبه بقطعه من شركة الجماعة (1كو 5 : 1 – 5) .

لعلنا الآن بدأنا ندرك ان الحكم الروحي للكنيسة ، التي تدين الخطايا بمقتضى كلمة الله ، هو أقوى دعامة للعقيدة السليمة ، وأفضل قاعدة للنظام وأحسن رباط للوحدة . إن الكنيسة عندما تطرد من شركتها الفاسقين وغير الأمناء وغير الطائعين ، فهي تطيع بذلك وصية الرب . وإن كان أحد يحتقر حكم الكنيسة فإن الرب يعلن بوضوح أن مثل هذا الإنسان يدين نفسه وأن السماء سوف تصدق على هذه الإدانة . فالكنيسة تتصرف بسلطان الرب عندما تدين الخاطئ العنيد ، وتقبل التائب (متى 16 : 19 ؛ 18 : 18 ؛ يو 20 : 23) والذين يقولون بأن الكنيسة يمكنها أن تدير أمورها بدون نظام تأديبي ، هم مخطئون . فالرب نفسه قد أوضح أهمية التأديب وضرورته .

(هـ) هناك ثلاثة أسباب وجيهة ، تجعل من واجب الكنيسة أن تصحح أخطاء البعض ، وتطرد البعض الآخر من الشركة : السبب الأول ، هو لكي لا يهان الله بسبب الاسم " مسيحي " الذي يستخدمه الذين يسلكون في حياة فاسدة ، وكأن الكنيسة المقدسة قد صارت تعبيراً عن مؤامرة الأشرار . إن الكنيسة جسد المسيح (كو 1 : 24) لا يمكن أن تشوه أو تدنس دون أن يلحق العار بالمسيح رأسها . ولكي لا يوجد في الكنيسة شيء يجلب العار على اسمه القدوس ، ينبغي طرد العضو المخطئ . وهذا يصدق أيضاً فيما يتعلق بعشاء الرب الذي يمكن أن تلحق به الإساءة إذا اشترك فيه إنسان ما بطريقة خاطئة . وإذا سمح به قائد الخدمة لإنسان غير مستحق وهو على علم بهذا يكون مجرماً بتدنيس المقدسات . لقد وجه يوحنا ذهبي الفم هجوماً حاداً للكهنة الذين خوفاً من الشخصيات العظيمة ، لم يجرؤوا على رد أحد عن عشاء الرب .

فإذا كان ينبغي ألا يتعرض هذا الفرض المقدس للازدراء ، فإن الأمر يتطلب أن نميز في توزيعه ، بناء على سلطان الكنيسة .

والهدف الثاني للتأديب هو أن لا يتأثر المؤمنون الأتقياء بالاتصال المستمر المنتظم للأشرار . إن لدينا ميلاً لأن نخطئ في أي إتجاه ، لذلك فإن النماذج السيئة يمكن أن تقودنا سريعاً إلى الضلال . ولقد أشار الرسول إلى هذا عندما أمر الكورنثيين بضرورة طرد الرجل المتهم بسفاح ذوي القربى من شركتهم قائلاً : " ألستم تعلمون أن خميرة صغيرة تخمر العجين كله ؟ " (1كو 5 : 6) ويضيف معلقاً :

" إن كان أحد مدعو أخاً زانياً أو طماعاً أو عابد وثن أو شتاماً أو سكيراً أو خاطفاً ، أن لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا " (1كو 5 : 11) .

والهدف أو النتيجة الثالثة للتأديب هي أن يشعر الخاطئ بالخجل ويتوب عن شره . إن من مصلحتنا ولخيرنا أن تنال الخطية عقاباً . فقد نظل مندفعين نحو الشر طالما كنا متورطين فيه ، لكننا نشعر بالإدانة عندما نعاقب . ويؤكد الرسول على هذا عندما يقول : " وإن كان أحد لا يطيع كلامنا بالرسالة فسموا هذا ولا تخالطوه لكي يخجل " (2تسا 3 : 14) . وأيضاً حينما يقول إنه قد سلم ذاك الكورنثي " للشيطان .. لكي تخلص الروح في يوم الرب " (1كو 5 : 5) . لقد سلمه لعقاب مؤقت لكي يخلص أبدياً . وحيث أن المسيح في داخل الكنيسة ، فقد سلم ذلك الرجل للشيطان خارج الكنيسة .